

فعل الخيرات .. عائلة زكريا عليه السلام نموذجاً



الأربعاء 11 يونيو 2025 08:00 م

إن الله تبارك وتعالى دعا عباده المؤمنين في آياته الكريمة إلى فعل الخيرات، كما جاء في قوله : { فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين } (الأنبياء: 90).
مشهد يمتدح الله، سبحانه، فيه زكريا وزوجه وابنهما يحيى عليهم السلام جميعاً فقد كانت أسرة مباركة، وكانوا من الخاشعين المتواضعين، المحبين للخير فقد (كانوا يسارعون في الخيرات) والمسارعة في طاعة الله تعالى، كما يقول الفخر الرازي، من أكبر ما يُمدح المرء به، لأنه يدل على حرص عظيم على الطاعة □

إذن كانوا يبذلون إلى الخيرات ويفعلونها في أوقاتها الفاضلة، كما يقول ابن سعدي في تفسيره، ويكملونها على الوجه اللائق الذي ينبغي ولا يتركون فضيلة يقدرون عليها إلا انتهزوا الفرصة فيها (ويدعوننا رغباً ورهبا) أي يسألوننا الأمور المرغوب فيها، من مصالح الدنيا والآخرة، ويتعوذون بنا من الأمور المرهوب منها، من مضار الدارين، وهم راغبون راهبون لا غافلون، لاهون ولا مدلون (وكانوا لنا خاشعين) أي خاضعين متذللين متضرعين، وهذا لكمال معرفتهم بربهم □

4 أوجه لـ (يدعوننا رغباً ورهبا)

قال الإمام الماوردي في قوله تعالى (ويدعوننا رغباً ورهبا) فيه أربعة أوجه:

رغباً في ثوابنا ورهبا من عذابنا □

رغباً في الطاعات ورهبا من المعاصي □

رغباً بطون الألف ورهبا بظهور الألف □

بمعنى طمعاً وخوفاً □

ويحتمل وجهاً خامساً، أي رغباً فيما يسعون من خير، ورهبا مما يستدفعون من شر □

خطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوماً فقال: (أما بعد، فإنني أوصيكم بتقوى الله، وتثبنا عليه بما هو له أهل، وتخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله عز وجل أتى على زكريا وأهل بيته فقال { إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين } .

المسارعة إلى فعل الخيرات في السنة النبوية

في الحديث، نجد سيد الأولين والآخرين يحثنا على المسارعة إلى فعل الخيرات، قبل أن تشغلنا شواغل الدنيا: «بادروا بالأعمال، فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا» (رواه مسلم).

إن المسارعة لفعل الخيرات من أخلاق المؤمنين الصادقين، ومثل هذه الأعمال دلالة على راحة في العقل وسلامة في القلب، فإن إتيان الخير إنما هو نموذج رائع لقيمة العطاء، وغالباً ما يكون العطاء أصعب وأشق على النفس من الأخذ □

إنك حين تقوم بالعطاء والمسارعة إلى الخيرات، فإنما تثبت بالدليل أنك مفتاح للخير مغلق للشر، كما بالحديث: «إنَّ من الناس ناساً مفتاح للخير مغاليق للشر، وإنَّ من الناس ناساً مفتاح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفتاح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفتاح الشر على يديه» (رواه ابن ماجه 237) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (2223).

إضافة إلى ذلك، فإن المسارعة إلى فعل الخيرات، تدخل تحت مظلة الآية القرآنية العظيمة: (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين } (الأنبياء: 73).

أي مديح أجمل وأفضل من أن تكون من أئمة الخير، تسير وفق ما أمر الله، فيرزقك المولى عز وجل نتيجة ذلك، إلهاماً من عنده لفعل الخيرات، ما يعني المزيد من الرضا والبركات عليك، بل ولأنك بفعل الخيرات تلك، صرت تستحق نعمة أخرى من نعم الله التي لا تُعد ولا تُحصى، هي نعمة الحرص على الصلاة وإيتاء الزكاة، من أجل تدخل بعد ذلك ضمن قائمة العابدين، وما أجملها وأزكاها من قائمة □

وهل منا من لا يرضى أن يكون اسمه ضمن تلك القائمة العالية الرفيعة!!؟